لا يزال انتحار الروائيين الشهيرين العالميين؛ الأميركي إرنست همنغواي، والياباني ياسوناري كواباتا يثير اهتمام الكتَّاب والأدباء والمهتمين بالفكر والثقافة، والمعنيين بالجوانب النفسيَّة في مختلف أنحاء العالم رغم مرور عقودٍ عدة على انتحارهما، ولهذا الاهتمام مبرراته المقنعة وأسبابه المنطقيَّة، وثمَّة قواسم مشتركةٌ بين انتحاري هذين الكاتبين، وفي الأسطر الآتية أعرض لبعض هذه القواسم والفوارق. وأكثر ما يقع من أناسٍ هزمهم اليأس، وأرَّقتهم أسئلةٌ وجوديةٌ كبرى، وتسلطت عليهم أمراضٌ نفسيَّةٌ أو جسديَّةٌ أو كلاهما، وعجزوا عن التأقلم مع المجتمع، أو وقعوا أسارى لأنواعٍ من الإدمان، أو حلَّت بهم مصيبةٌ كبرى لم يستطيعوا من أثرها فكاكًا، أو ممن يكون وعيهم قاصرًا ومحدودًا على الصعيد المعرفيّ والإنسانيّ، فهل يمكن أن يُصَنَّفَ صاحبانا:همنغواي وكواباتا من بين هؤلاء؟إنَّ كلًّا منهما مشهورٌ وناجحٌ وحاصلٌ على جائزة نوبل للآداب، وترجمت أعمالهما إلى مختلف لغات العالم، كما أنَّ في أعمالهما المختلفة تمجيدًا للإنسان، وإشادةً بخلوده من خلال ما يصنعه في حياته من مجدٍ يبقى له أثرًا بعد مماته، وهو الأمر الذي يبقي باب السؤال مشرعًا: كيف ينهي الكاتبان حياتيهما بالانتحار؟ وكثيرٌ من الناس اعتبرهما معًا أو كلَّ واحدٍ منهما على حدةٍ_ قدوةً تحتذى، وفي غمرة نجاحه الأدبي، وبعد حصوله على جائزة نوبل للآداب بأربع سنواتٍ فقط، كأول أديبٍ ياباني يحصل عليها، أقدم (كواباتا) وهو في سن الثالثة والسبعين من عمره على الانتحار، وذلك في 16 إبريل 1972م. ففي صبيحة ذلك اليوم قام بخنق نفسه بالغاز من دون أن يترك أيَّ رسالةٍ تبين السبب، أو أثرٍ يفصح عن السر وراء هذا السلوك، مبقيًا الأمر مكتنفًا بالغموض، مثله مثل بعض مقاطع من أعماله الإبداعيّة المختلفة. ومن الطبيعي إزاء حدثٍ كهذا أن تكثر الشائعات، وتروج الأقاويل لتسد فجواتٍ في الحكاية الأليمة تلك؛ ومنها أنَّ انتحار كواباتا كان بسبب معاناته اعتلالًا صحيًّا، وقيل: إنَّه نتيجة قصَّة حبٍّ عاقت إتمامها تقاليد وأعرافٌ اجتماعيةٌ قويّةٌ، وقيل أيضًا: إنّه نتيجة معاناته النفسيَّة والجسدية من شيخوخته التي عَبَّرَ عنها كأجمل ما يكون التعبير في روايته الشهيرة «الجميلات النائمات»؛ بل تمنى لو أنَّه أبدعه، وبوحي منه ألَّف قصَّته القصيرة «طائرة الحسناء النائمة». وبعد ذلك روايته «ذاكرة غانياتي الحزينات». ويذكر تاكيو أوكينو، كاتب سِيَرٍ ذاتيَّةٍ ياباني أنَّ شبح ميشيما ظلَّ يزور كواباتا مدةً تُراوح بين مئتي ليلة وثلاث مئة ليلةٍ متتاليةٍ منذ انتحاره. غير أنَّ انتحار ميشيما لم يكن غامضًا مثل انتحار أستاذه كواباتا، فقد انتحر بطريقة الساموراي اليابانية التقليدية على رؤوس الأشهاد. وركع على ركبتيه، وقتل نفسه بطريقة السبوكو المتمثلة في غرز السيف في أحشائه،وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإنّ الطقس الاحتفالي الذي اتبعه بدقةٍ متناهيةٍ ميشيما عند انتحاره يأتي كأنّه استجابةٌ حرفيَّة لمقولة شهيرةٍ من منتحرة شهيرةٍ وهي شاعرةٌ وروائيةٌ وكاتبة قصةٍ قصيرةٍ. مثل أيِّ أمرٍ آخر.وأنا أتقنه بفرادةٍ ملموسةٍ.أفعله ليكون كالحقيقة.بل يمكن القول بأنّني ممسوسةٌ.كم هو سهلٌ، يمكن فعله في زنزانةٍ حد لقائه بثباتٍ ورصانةٍ».وقد صدَّق قصيدتها هذه إقدامها على الانتحار ونجاحها في المحاولة الثالثة حين قامت بحشر رأسها في الفرن الذي كان قيد التشغيل بعد أن وضعت مناشف مبللةً تحت الأبواب لتحجز تسرب الغاز إلى غرف طفليها. وذلك في عام 1963م، وكأنَّ ذلك الانتحار آخر قصائدها عن الموت.ومن انتحار كواباتا في شرق الكرة الأرضيَّة إلى انتحار همنغواي في غربها ومن المصادفات أنَّ (همنغواي) هذا ولد في العام نفسه الذي ولد فيه كواباتا، 1899م. وهمنغواي أبدع عشرات الروايات، ومئات القصص القصيرة، والقصيرة جدًّا مثله مثل كواباتا. ومن أشهر أعمال همنغواي الروائية «الشيخ والبحر» التي نال عليها جائزة نوبل عام 1954م، وأنَّ خلوده يبقى من خلال الصيت والذكر الحسن. وتبعث الرواية أسئلةً قَلِقَةً تتعلق بالحظ حينما يبتسم، وبنسبيَّة النصر وغير ذلك. أمضى أربعًا وثمانين يومًا من غير أن يفوز بسمكةٍ واحدةٍ. وفي يوم خرج إلى البحر، وعلقت بخيوط قاربه سمكةٌ كبيرةٌ جدًّا حجمها أكبر من حجم القارب، وظلَّ يصارعها عدَّة أيامٍ وليالٍ، لكنَّه تمكن في النهاية من الإمساك بها وربطها في المركب. وفي رحلة العودة هاجمته مجموعةً من أسماك القرش تريد السمكة، غير أنَّها انتصرت عليه في النهاية، ولم يبقَ من السمكة الضخمة غير هيكلها، الذي تركه على الشاطئ ليكون فرجةً للناظرين وأعجوبةً، وعاد إلى منزله منهكًا. وعندما رأى الناس هيكل السمكة اندهشوا من كبرها، وعظمتها فبقي اسم الصياد سانتياغو مرفوعًا ومفتخرًا به.أمّا في رواية كواباتا: «الجميلات النائمات»، فبطلها الرئيس هو الشيخ العجوز إيجوشي؛ حيث يتمكن العجائز المصابون في رغباتهم بفعل الشيخوخة من قضاء ليلةٍ أو أكثر بمقابل ماليٍّ إلى جانب فتاةٍ مراهقةٍ نائمةٍ تحت تأثير مخدرٍ، يقضون الليل في استعادة وهم شبابٍ ولَّى إلى غير رجعةٍ، ولم يبقَ لهم سوى تذكاره_ بوصف أنَّ «الذكريات صدى السنين الحاكي»، وتأمل انقضاء حياتهم، وانتظار موتهم الوشيك مع ما يثيره ذلك التأمل من أسئلةٍ حبلى بمزيدٍ من الأسئلة.خَبَرَ همنغواي الحرب وعاش ويلاتها، وأدرك أثرها في شخصية الجندي، وانعكاسها على الإنسان مشاركًا فيها بشكلٍ مباشرٍ أو بشكلٍ غير مباشرٍ، وما تخلفه من دمارٍ وخرابٍ في البلاد، وكذلك في جوانح النَّاس ونفسياتهم وقلوبهم وأجسادهم. فقد شارك في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي الحرب الأهلية الإسبانية، بينما نجد أنَّ كواباتا رفض

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

المشاركة في التعبئة العسكرية التي رافقت الحرب العالمية الثانية، غير أنّهَ صرَّح في أكثر من مرّةٍ بأنَّ للحرب تأثيرها الكبير في معظم أعماله، ومضى قدمًا في هذا الشأن حيث قال ذات مرّةٍ بأنَّه سيقصر كلَّ كتاباته على رثاء بلده: (يابان) ما بعد الحرب.حرب وشائعاتوالمفارقة هنا تكمن في أنَّ بلد همنغواي ـ الولايات المتحدة الأميركية ـ هي البلد الذي انتصر في الحرب على بلد كواباتا_ «اليابان» أيَّما انتصارٍ، ودمَّرها أبشع ما يكون التدمير بعد أن ألقت عليها قنبلتين نوويتين فتكتا بالبشر وبالحجر فتكًا لم تعرف له الإنسانية مثيلًا من قبل ولا من بعد. فهل للحرب ـ ولو بأثر رجعيٍّ ـ سببٌ في انتحارهما؟ومثلما كثرت الشائعات عن انتحار كواباتا، كثرت أيضًا عن انتحار همنغواي، فقيل: إن امرأته هي من قتلته ببندقيته، وقيل: إن المخابرات المركزية الأميركية ضالعةٌ بشكلٍ أو بآخرٍ في الحادثة، وقيل: إن هجر عشيقته الممرضة الحسناء، أغنيس فون كورفيسكي التي كتب فيها وعنها رواية «وداعًا أيُّها السلاح»، وزواجها من ثريٍّ إيطاليٍّ قد ترك في أعماقه جرحًا غائرًا لم تستطع السنون، ولا النساء الأربع اللواتي تزوجهن بعد هجرها إيَّاه شفاءه منه.ويعتقد كثيرون أن شبح تلك الإيطالية، وبعضهم يلمح إلى همنغواي نفسه قد يكون قاتل معشوقته تلك مستدلين بورقةٍ يرجح أنّه كتبها قبل انتحاره ضمَّنها قوله: «لم أعد أحتمل! إنها تلاحقني ليل نهار. في عينيها الجميلتين نظرة عتابٍ مروّعةٍ. لم تكن خائفةً مني. أنتِ تعرفين أنني لم أكن أقصد». ويقال أنَّ تلك الورقة أخفيت عن المحققين،وإن صحت روايتي شبحي: صديق كواباتا، وعشيقة همنغواي، فثمَّة قاسمٌ مشترك بين انتحاريهما لا يخفى، مع فارقٍ كبيرٍ فيما يبدو في طبيعة كلِّ شبحٍ منهما، فشبح عشيقة همنغواي فيما يبدو يزوره مؤنبًا ومعاتبًا، وكم هي الحال في معظم حالات الانتحار،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي